قصة عبد الله مع الخَثْعَمِيَّة(١)

لما رجع عبد المطَّلب من ضَرْبِ القِداح ونَحْرِ الإبل، أخذ بيد عبد الله وهو يبكي ويقول: اليوم وُهِبْتَ لي يا بُنيَّ. فمرَّ بامرأةٍ من خَثْعَم يقال لها: فاطمة بنت مرّ، وكانت من أجمل النساء وأعفِّهنَّ، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شبابُ قريشٍ يَجلسون إليها ويَتحدَّثون عندها، فرأت نورَ النُّبوَّة بين عَينيه، فقالت له: يا فتى، مَن أنت؟ فقال: عبد الله بن عبد المطَّلب، فقالت: هل لك أن تقعَ عليَّ وأُعطيكَ مئةً من الإبل مثلَ ما نحر أبوك؟ فنظر إليها وقال: [من الرجز]

أمَّـا الـحـرامُ فـالـمَـمَـاتُ دونَـهُ
والـحِـلُّ لا حِـلّ فـأسْـتَـبـيـنُـه
فـكَـيـفَ بـالأمـرِ الـذِي تَـنـويـنَـهُ

ثم مضى مع أبيه عبد المطلب إلى وَهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة، وهو يومئذٍ سيِّدُ بني زُهْرة نسباً وسِنّاً وشَرفاً، فخطب إليه ابنَته آمنة، وهي يومئذٍ أفضلُ نساء قريش، فزوَّجه إياها، فأقام عندها ثلاثاً، وعمره يومئذ سبع عشرة سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة.

وحملَتْ آمنةُ برسول الله ﷺ، ثم ذكر عبد الله الخثعميَّةَ وجمالَها وما عرضت عليه، فأقبل يُريدها، فلم يرَ من إقبالها عليه أخيراً ما رأى منها أولاً، فقال: هل لك فيما عرضْتِ عليَّ؟ فنظرت إليه وقالت: «قد كان ذلك مرَّةً، فاليوم لا». فذهبت مثلاً، ثم قالت له: ما الذي صنعتَ بعدي؟ قال: واقعتُ امرأتي آمنة، فقالت: والله يا هذا لستُ بصاحبةِ رِيبة، ولكنيّ رأيتُ نورَ النبوَّة بين عينيك مثل غُرَّة الفَرَس ساطعاً إلى السماء، فأردتُ أن يكون ذلك فيَّ، وأبى الله إلا أن يَجعله حيث شاء، ثم عدْتَ وليس في

(١) اختلف في المرأة التي لقيها عبد الله على قولين: أولهما ما ذكر ابن هشام في السيرة ١/ ١٤٣ عن ابن إسحاق أنها امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي أخت ورقة بن نوفل.
والثاني: ما ذكره المصنف، وانظر كلا الروايتين عند ابن سعد في «الطبقات»١/ ٩٥ ، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٤٣ ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (قسم السيرة) ص٢٠٤ ـ ٢٠٦ ، وابن الجوزي في «المنتظم» ٢/ ٢٠١ ، وابن الأثير في «الكامل» ٢/ ٧ ـ ٨ ، وابن كثير في «البداية» ٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

وجهك منه شيء، فأخبِرْ زوجتَك أنها قد حَمَلَتْ بخير أهلِ الأرض، وإني لأحسِبُك أبا النبي المبعوث الذي قد أَظلَّ زمانُه.

وحملت آمنةُ برسول الله ﷺ في الليلة التي أقام فيها عبد الله عندها.

قال الزُّبير: حَملتْ به في شِعْبِ أبي طالب عند الجَمْرَة الوُسْطى.

وكان عبد المطلب إذا قدِم اليمن نزل على عظيم من عُظَماء حِمْيَر، فوجد عنده مرةً رجلاً قد قرأ الكتب، فقال: أتأذن لي يا عبد الله أنْ أفتِّشَ مكاناً منك؟ فقال: ليس كلّ مكانٍ آذَنُ لك في تفتيشه، فقال: إنما هو مِنْخَراك، فقال: انظر، فنظر في مِنْخَرَيْه وقال: أرى نُبَوَّةً ومُلْكاً، وأحدهما في بني زُهرة.

فرجع عبد المطلب فتزوَّج هالةَ بنت وَهب، وزوَّج ولده عبد الله آمنةَ بنت وهب، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة، وولدت آمنةُ رسول الله ﷺ[1].

وكان عبد المطلب يخرج في رحلة الشتاء إلى اليمن، فنزل مرَّةً على يهوديٍّ قد قرأ الكُتُب، فنظر إليه فقال: أرى في أحد مِنْخَرَيك نبوَّةً وفي الآخر مُلْكاً، فهل لك من شاعة، أي: زوجة؟ فرجع عبد المطلب فتزوَّج هالةَ، وزوَّج عبد الله آمنة.

فصل في ذكر هاشم

وأمه عاتكة بنت مُرَّة بن هِلال، وهاشم لقبٌ له، واسمه عمرو، وفيه يقول عبد الله ابن الزِّبعرَى: [من الكامل]

عمرو العُلَى هشمَ الثَّريدَ لقومه ... ورجالُ مكةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ

من جملة أبيات[2].

وقال مَطْرود بن كعب الخزاعي[3]: [من الكامل]

يا أيُّها الرجُلُ المحوِّلُ رَحْلَه ... هلَّا نزلْتَ بآلِ عبد مَنافِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٨٦، والحاكم ٢/ ٦٠١، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٠٦.

(٢) البيت في ديوانه ص٥٣، ومسنتون: أصابتهم سَنَةٌ مُجْدِبة.

(٣) اختلف في قائل هذه الأبيات على قولين: أحدهما: مطرود كما أورده المصنف هاهنا، وابن هشام في «السيرة» ١/ ١٦٣، و«أنساب الأشراف» (قسم السيرة) ص٦٨، و«الحماسة البصرية» ١/ ١٥٥. والثاني: =